

صه أدينا المجهول - شاعر يرثى ولده بديوانه

## اقتراح القريح واجترح الجريح

لأبي الحسه على المصري

بقلم الأديب السيد أحمد صقر

( للأستاذ الزيات عزاء وسلوة )

من أغرب الظواهر في الأدب العربي - إن لم يكن في الغربي - أن يرثى شاعر ولده الصغير بديوان كبير ، ثم يظل مجهولاً طيلة ثمانية قرون ونصف قرن ، لم يحاول أحد خلالها نشره أو التعريف به

وما زالت خزائن الأدب العربي ملاءى بالآثار الرائعة التي خلفها لنا الأجداد تجاذب الأحداث أسباب البقاء ، حتى إذا ما صرعا الزمن وقفنا على أطلالها نندبها ونبكها ، ونقول كان لنا وكان . . .

من تلك النفائس المشرفة على الفناء ديوان فذ في بابيه ، غريب في اسمه وموضوعه ، نظمه أبو الحسن المصري صاحب القصيدة المشهورة : يا ليل الصب متى غده ؟ سماه اقتراح القريح واجترح الجريح وكل فصائده في رثاء ابنه الوحيد عبد الغنى ؛ ورزقه وقد بلغ من الكبر عتياً ، ورزقه وقد أتم التاسعة من عمره وكان موته بالزيف : فسالت حشاشة نفسه من أنفه ، وفي ذلك قوله :

لست أنسى مقامه ومقامي وكلاهما مثل القليل خضيبا

أنفه ينثر المقيق وعيني تنثر الدمع بالمقيق مشوبا

ليس للمصري غير هذا الديوان على كثرة شعره ، ووفرة أدبه ، يدلنا على ذلك قوله في مقدمة الكتاب : « والقرآن شعاري ، ولذلك لم أجمع أشعاري ، سحرت بها العقول فحبذتها ، ووراء ظهري نبذتها ، تركتها لمن يعيها ، فيسرقها أو يدعيها ، يرثي بغير نسب ، ويملكها بغير نسب ، حاشا ما في كتابي هذا »

لم يطبع هذا الكتاب ولم يشتهر اسمه بين الأدباء ، ولم

يجر ذكره على أسلوات أقلام المؤرخين ، ولعل ذلك راجع إلى ندرة وجوده ، وقلة ذبوعه . . .

في دار الكتب المصرية نسخة فريدة من هذا الديوان النفيس مخطوطة بخط معتاد فرغ ناسخها من نسخها في سادس ربيع الأول سنة سبع وستائة ، عدد صفحاتها ٢٦٢ من القطع الكبير . بها خروم وخروق ، وآثار عرق لا تمكن القارى من متابعة قراءته

قدم الناظم بين يدي ديوانه ثلاث خطب ، أولها مهمة الحروف ، قد بدأها بقوله : « الحمد لله مالك الملك ولا أمد ، وممسك السماء ولا عمد ، سمكها فأطلع مهلها ، وعلم آدم الأسماء كلها ، ووعد لأعمال الطاعة ، ووعد لأحوال الساعة ، لا أمر إلا أحكمه ، ولا مراد إلا حكمه ، لا إله إلا هو إله واحد لا ولد له ولا والد ، أحمد له لآلاء أولها ، وأدعوه ملك الأملاك ومولاه » الخ وهي تملأ عشر صفحات ، وقد عقبها بقوله : « ثرت فأبلت ، ونظمت فتفتنت . وهذه الخطبة على بلاغتها ، وإبداع صياغتها حليتها من بدر بحرى ملقوطة ، وأخليتها من كل حرف منقوطة ، وأردت أن أشفعها بأخرى منقوطة الحروف ، فوجدتني أخرج فيها عن الرسم المعروف ، إذ استفتاح الخطب بحمد الله والثناء عليه ، وذلك في المنقوطة لا سبيل إليه ؛ غير أنني اختصرت فأثبت منها ملحاً في ملح ، ورب دليل في قليل ، ورب عثار في ا كثار . ويلي هذا التمشيب الخطبة الثانية وأولها : بثت بي الخ وهي تقع في ثلاث صفحات . وبعدها الخطبة الثالثة وهي أهمها من الوجهة التاريخية والأدبية . وهي في ٢٩ صفحة . وقد أحييت أن أنقل لك منها شذرات لتعرف قصة الرجل وعقله وتفكيره وأسلوبه في النثر

قال بمد كلام طويل لا وحدة تجمعه ، ولا سبب يربطه : « ولما أنقض ظهري ، ما وزرت في سرى وجهي ، وهمم الموت في ابني ، ما كنت من الأمل أبني ، سأنت الله له الاتجاب ، فقال لا بد أن تجاب ، وأنجبه طفلاً ، وأناثي به كغلاً ، فتمنى سهداً في مهده ، وما زال ينمى بهمه ، حتى أكل تسعة ، ورامت سعيه الكبار فلم تسعه . كان يروق هلالاً ، ويشوق زلالاً ، فقالوا يافك نأفك ، وقال الله بل هو شافك . أعطانيه بفضله ،

الكبر ثم قلت بديها :

يهب الله لمن شا . إنانا وذكورا  
 فاذا أعطاك بنتك فكن الراضى الشكورا  
 واسأل الله - لك الخير رواحاً وبكورا  
 وأقم في السر واليسر وذراً عنساً وكورا  
 فلي الأفراخ حباً تألف الطير الوكورا  
 وما أنت إلا ورزقها معها ، أما أقنط نفس المرء وأطمعها ،  
 ساعة أفرح بها فأسلو ، وساعة بالحزن فيك وفيها أخلو ، وطورا  
 أمر أخلاقاً وطوراً أخلو ، إذا ذكرت الموت اشتغل بال أمها  
 بل بالى ، وإن نظرت محاسنك فيها اهتاج بلبالى ، فترحتى أكثر  
 من فرحتى ، وسبيل الدنيا هذى السبيل ، وحسبنا الله ونعم  
 الوكيل

حبيت ابنتى وابنى فقد عاشت ابنتى

لهى ومات ابنى ولم يميت الحب  
 وما ذكر يشنى كأننى تهمنى ولكننى راض بما صنع الرب  
 وبهذا البيت تنتهى الخطبة الثالثة . ويلها شعر الديوان  
 مرتباً على حروف المعجم فى ١٨٢ صفحة ، ويله مندبجاً فيه  
 مجموعة صغيرة من الشعر فى نفس الموضوع التزم فيها لزوم مالا  
 يلزم ، مرتبة على حروف المعجم كل حرف فيه ١٥ بيتاً . وتقع فى  
 ٣٨ صفحة وبانتهائها ينتهى الديوان

الآن وقد قصصت عليك بإيجاز قصة اقتراح القريح المجهولة ،  
 أرى لزاماً على أن أقص عليك قصة ناظمه الحصرى المجهول .  
 وموعداً المدد القادم ان شاء الله

السيد أحمد صف

وأخذه بعدله ، فجرحتنى أنياب النوائب ، وفرحتنى أوصاب  
 المصائب ، ثرت شاكياً ما اجترحت الى قاطرى ، ونظمت باكياً  
 ما اقترحت على خاطرى ، وقلت عسى الله أن يرحم الناظم النار ،  
 يسلى المحزون ويقبل العائر ، وسميت هذا الكتاب : اقتراح  
 القريح ، واجتراح الجريج . وضمته قصائد على حروف المعجم ،  
 وإن كنت من الأحزان كاللجم ، ومقطعات تقفو كل قصيدة  
 فى قافيتها ، على أنها مثيرة الأحزان غير شافيتها ، ونظمت من  
 فصول النثور ، مقطعات فى الزهد المأثور . على أن خطبى جليل ،  
 وخطابى كليل . فتزهرت فى حديثين زهراوين أتيتين ، وبحت  
 بما كان مكتوماً ، ونحت مفتوحاً ومختوماً ، وأنا أستغفر الله من تسخطى  
 فى تسخطى ، ومن عارى الأشعار الكاسدة الأسمار وصفت فيها  
 المقبوحين بالجمال والمقبوسين بالكمال . . . . . وكنت نظمت هذه  
 الأشعار إذ قلبى مشتعل ، ثم آخرتها خمس سنين إذ لى مشتغل ،  
 وفكرت فى سرعة الموت ، وفى سرعة الفوت ، فبادرت الآن إملأه  
 هذا الكتاب إذ رغب إلى فيه بعض الكتاب ، رجوت به  
 الترحم على من كل من يقرؤه ؛ وعسى الله ان استحققت العذاب  
 يعفو عني ويدروه « . . . . .

\*\*\*

« ابنى متى أبنى مجداه هدمه الدهر يوم مصابك ؟ ومتى  
 أخصب فى ربع أحمله الدمع غب غيابك ؟ تركتني فى الأظلام  
 نهارة ، وأجريت دمي أنهاراً ، فأى مرثية فيك أسلوبها ، وإن  
 أعجب الناس بأسلوبها ، وأى عيشة بعدك أهوبها ، وحسرتك  
 لا يطفأ حر أهوبها ؟ أستغفر الله قد سلوت بعض السلو ، بأم  
 الدلو ، أتتى بعدك على الكبر ، فحمدت الله وعددتها من الحسنات



فضائت  
 الفن الحديث  
 ماكن بوخنجر  
 ٣ شارع الانوار - لبيد ١٥١٣٣

الإبحاء  
 فن الحياة وفتح السعادة  
 ( ٥٠ والبريد )  
 التوزيع المنطيسى (بالصور) ٦٠ والبريد ٢  
 قراءة الأفكار وعلم نفسية ٥  
 موجز التوزيع بالصور عشرة ملينات  
 للأستاذ ولیم بن سرجيوس الميامي بمصر  
 شارع الترعة البولاقيه رقم ١٥٦ بالسبتية